العبرة من القصص في القران

(1) من آدم الى إبراهيم عليهم السلام

هناك اسئلة تطرح نفسها أثناء قراءتنا للقصص في القرآن:

1. هل القصص القرآني يروي لنا أحداث تاريخية كمؤرخ ؟ فإذا كان كمؤرخ، وهو يؤرخ من آدم حتى الرسالة المحمدية ضمناً وهو آلاف السنين، فهو غير وافٍ، وغير كافٍ أصلاً لتغطية التاريخ كمؤرخ. ولو كانت كذلك، لجاءت كل قصة متكاملة في سورة لوحدها.

2. لماذا هذا التكرار ولماذا تتكرر بعض أجزاء القصة الواحدة في عدة سور؟ وبعد تفكر وتدبر وجدت الجواب لتساؤلي : لقد استغرق التنزيل الحكيم 23 سنة حتى يكتمل، فلم تنزل كل هذه القصص دفعة واحدة، ولم يكن المستمعون هم نفسهم في كل مرة. فكانت تأتي أحيانا كنذير لعموم الناس في كل زمان ومكان، تذكرهم بما حصل للأقوام السابقة التي كفرت برسالات ربهم. واحيانا تأتي وعظاً لجماعة من المؤمنين، ومرة تأتي في الإجابة على تساؤلات بعضهم عن الخرافات التي ينشرها أهل الكتب السابقين عن أنبيائهم، ومرات للإجابة على أسئلة من المشركين وأهل الكتاب عن أحداث حصلت في الماضي، وأحيانا تذكيرا للرسول بأنه ليس أول نبي يواجه انكار قومه له، وطمأنة له بأن دين الله سينتصر في النهاية . ويحضرني هنا مثال:

في العادة في حفل التخريج من الجامعة يتم استضافة أحد المفكرين لإلقاء كلمة أمام الخريجين. فإنه يلقي كلمة يعظ فيها الخريجين على التأهب لدخول حياة جديدة في الحياة ومجالات العمل تختلف عن حياة الدراسة . في السنة التالية يُدعى نفس الشخص لإلقاء كلمة للخريجين في نفس الجامعة أو في جامعة أخرى. وغالبا ما يستعمل المحاضر نفس كلمته التي ألقاها في العام الماضي مع تعديل يتناسب مع تغير الظروف. فالرسالة والقصة نفسها تقريبا ولكن المستمعين مختلفون. فبالنسبة لكل مجموعة هي معلومات يسمعونها لأول مرة، فلا ملل ولا تكرار بالنسبة للمستمعين. وإن كانت كل مجموعة قد عملت تسجيلا للكلمة أو قاموا بنشرها في صحيفة الجامعة، فإنها تصبح جزأً من التاريخ لتلك الجامعة. وبذلك ربما تتكرر هذه الكلمة/المحاضرة في أكثر من كتاب أو صحيفة، وربما تعجب آخرين فيقتبسونها أو جزأً منها في سنوات لاحقة. وهذا لا يُعيب كاتبها ولا ناشرها، ولا يقال له تكرار لأن المستمعين مختلفون.

أما إذا نظرنا إلى القصص القرآني كما أرادنا القرآن أن ننظر إليه في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (يوسف: 111)، فمن هذه الآية نستنتج أن الله سبحانه وتعالى اختار أحداثاً تشكل مفاتيح لتطور التاريخ الإنساني ابتداء من آدم، يبين فيها التراكم القيمي والتشريعي والاجتماعي، وأطلق عليها مصطلح (العبرة)، والعبرة ما يجب أن يعبر حاجز من مكان لآخر، أو يعبر الزمان من قرن لآخر.

فالأحداث الإنسانية الواردة في القرآن هي مؤشرات، علينا دراستها لفهم التاريخ الإنساني وحركته وسننه، وهو ما نطلق عليه فلسفة التاريخ. أن الدراسة التاريخية هي إما دراسة أحداث في برهة زمنية محددة، وهذه مهمة المؤرخين. أو دراسة تطور الأحداث التاريخية وفق تسلسل زمني محدد مع استنتاج السنن التي تحكمها إن أمكن.

إن التنزيل الحكيم يطرح في القصص مداخل أنثربولوجية وفلسفية لقراءة صيرورة الإنسان في حركية التاريخ، وجدلياته داخل هذه السيرورة. إنه جدل الإنسان مع الإنسان كعلاقات واعية، ومع الطبيعة في المعرفة. لذلك رأينا أن فهمنا للقصص يجب أن ينفتح على الأنساق الثقافية الغابرة والحاضرة، وأن يقرأ الإنسان المعاصر القصص القرآني وفق سقفه المعرفي وعلى ضوء العلم بمختلف موضوعاته. فقد احتوى هذا القصص على المفاتيح التاريخية التالية:

1 – عملية الأنسنة، وهي انتقال البشر إلى إنسان بعملية نفخة الروح وهو ما ورد في قصة آدم

2 – الدين عند الله منذ الخلق هو الإسلام. وبحكمة من العليم الحكيم بدأ سبحانه ينزل الوحي على الأنبياء تدريجيا بما يتناسب مع قدراتهم العقلية:

آ – تراكم القيم من نوح حتى محمد (ص).

ب – تطور التشريعات من نوح حتى محمد (ص)، ومن المشخص إلى المجرد.

ج – ظهور الشعائر، حيث ظهرت الصلاة مثلاً لأول مرة عند إبراهيم (ع) واختلفت حسب الملل المختلفة.

لذلك نرى أن قصص الأنبياء هي مؤشرات أساسية لتغطية مراحل الرسالات التي عاشها الإنسان حتى ظهور الرسالة المحمدية، وحيث نعيش الآن عصر ما بعد الرسالات، ونرى أن هذا الخط المرسوم في القصص القرآني، والعبر المستقاة منه يؤيدها الكثير من المكتشفات الأثرية والعلمية، والدراسات الانثربيولوجية.

إن شرط القراءة المعاصرة للقصص يكمن في رفع التلبيسات الأيديولوجية عن النص، والسير في الأرض أو قراءة أقوال من سار في الأرض وبَحَث ونقَّبَ واكتشف. وهذا الانفتاح على العلوم والأنساق الحضارية والثقافية المختلفة يمكِّن الناظر في التنزيل الحكيم أن يضع القصص في بعد عالمي وإنساني وأن لا يحصر نفسه في زاوية القراءة الأيديولوجية.

ومن الملامح التي نستنتجها ما يلي:

عصر آدم عليه السلام

خلق الله آدم على أحسن تقويم ، ونفخ فيه من روحه، فميزه عن باقي البشرية السابقة وعلمه الأسماء كلها والمعرفة بأمور الحياة. وبذلك نشأ الإنسان، فكان آدم أول إنسان وليس أول البشر، فالبشر كانوا موجودون على الأرض منذ ملايين السنين.

ومن هنا نرى أن الله بنفخة الروح أعطى آدم جزءاً من معرفته ومشيئته، فصار لديه من المعلومات ما يساعده على الحياة، وأعطاه حرية الاختيار وأعطاه أول أمر بشكل رمزي مجرد متمثلاً بقوله: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ". وحذره من وسوسة الشيطان. ولما لم يلتزم آدم بهذا الأمر عصى ربه. " فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ "وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" . وبذلك نقل جنس آدم من الجنة التي كان فيها على الأرض إلى مكان آخر على الأرض أقل مستوى من المكان الذي كانوا فيه.

خلق الله آدم على أحسن تقويم ليمتاز على كل الخلوقات الحية:

- نضوج جهاز صوتي خاص به، وهذا الجهاز قادر على إصدار نغمات مختلفة بعكس بقية المخلوقات التي تصدر نغمة صوتية واحدة. هذا الجهاز الصوتي عبر عنه في سورة الرحمن: {الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان}

- ميزه بالدماغ البشري الذي يعتبر واحدة من المعجزات الالهية التي حيرت العلماء مهما حاولوا دراستها و التوصل الى ماهية عملها. لقد اكتشف العلماء الذين درسوا نشأة الإنسان أن الدماغ البشرية تحتوي على بلايين من الخلايا العصبية التي تترابط معاً بأنظمة دقيقة و كل جزء منها يعمل بشكل منفصل و مترابط في آن واحد.

- منحه من العلم والمعرفة ما يمكنه من التكيف مع البيئة التي عاش فيها. وحيث ان بيئته كانت محدودة كانت قدرات دماغه محدودة وكامنة لم يتم تفعيلها بكامل طاقاتها.

عصر نوح عليه السلام:

- وجود أقوام تُقدِّس ظواهر الطبيعة " الشمس، القمر، السماء، الكواكب، الأرض
- ظهور سدنة وكهان يخدمون الآلهه وينطقون باسمها

"وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تَزِدَ الظالمين إلا ضلالا" (نوح 23).

- عدم وجود تشريعات وأحكام، وعدم وجود شرائع كالصلاة وغيرها. "قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ" نوح 2

- لم تكن لدى الناس في ذلك الزمن معرفة بالبحار، وعدم وجود أدوات أو وسائل انتاج لبناء سفن كما يذكر في القصص أو الأفلام، حيث تم صنع طوف من الواح خشبية مشدود بعضها الى بعض بألياف طبيعية. لذلك أخبر الله نوح كيف يبني الفلك لقوله تعالى:" واصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا" "وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ" (القمر – 13)

- تطور لغة التواصل والحوار " قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ" هود 32 .

- ظهور أول قيمة أخلاقية وهي بر الوالدين والاستغفار لهما.

- "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا" نوح – 28

- نمو الدماغ وتفعيل قدراته التي وضعها الله فيه لتلائم احتياجات الإنسان للتواصل مع الآخرين من جنسه ومع مستجدات البيئة.

عصر هود عليه السلام

- ان الحقيقة الأولى التي واجه بها هود عليه السلام قومه، هي تقرير أن المستحق للعبادة هو الله وحده، ولا أحد سواه يستحق العبادة، فها هو ذا يخاطب قومه بقوله: "يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره" الأعراف:65

- ظهور تذليل الأنعام والبناء، وبذلك بدأ ظهور القرى (من قَرَّ أي سكن واستقر) فاتجهوا في البنيان على رؤوس التلال خوفا من حدوث طوفان كما حصل لقوم نوح. "أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون * إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم "الشعراء:133) "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ"

- تراكم القيم والمعرفة وتطور وسائل الاتصالات أدى إلى تفعيل المزيد من القدرات الكامنة في الدماغ

عصر صالح عليه السلام:

- ابتلي النبي صالح (عليه السلام) بقوم مشركين، يقدسون عقائد الآباء، ويخضعون لزعمائهم المترفين المفسدين ، فدعاهم (عليه السلام) إلى عقيدة التوحيد وطاعة الله وتقواه ، وإلى تحرير أفكارهم من ربق التقليد الأعمى ، وتحرير إرادتهم من تسلط الجبابرة المسرفين الذين لا يقودوهم إلا إلى الذل والهوان ، والفساد والدمار : {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [الشعراء : 150 - 152] .

- كانت العبادات في عهد نوح تستهدف مظاهر الطبيعة ثم تحولت في عهد هود الى أوثان رمزية مشخَّصة، وفي عهد صالح شاعت صناعة التماثيل. وقد ورد في التنزيل الحكيم: "كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين" وقوله تعالى "وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ "

- كانت معجزة صالح هي الناقة التي أخرجها الله لقومه من الصخرة منسجمة مع ما برع فيه قوم ثمود من النحت.

- ظهر مفهوم العشيرة ومفهوم التمايز الطبقي " كَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ" النمل 48

- ظهور مفهوم الملكية الخاصة للأرض : "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"

عصر شعيب عليه السلام

- استقبل قوم مدين نبيهم بالتكذيب ، واتهامه بالسحر أو أنه مسحور ، أي مخلول العقل ، وأنه بشر ليس له فضل عليهم. " قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186) " (الشعراء)

- ومن مظاهر كفرهم أن موقعهم في وسط طريق القوافل التجارية المارة من الجنوب إلى الشمال وبالعكس جعلهم يتحكمون في هذا الطريق ، ولم يؤدوا حقه بل صاروا يقطعون الطريق ، ويخيفون المارَّة ، وكانوا يعاملون الناس معاملة سيئة ، فهم يبخسون الناس أشياءهم ، ويطففون في المكيال والميزان ، يدفعون بالناقص ويأخذون بالزائد .ولهذا وصفهم الله سبحانه بالظلم " وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ " (الحجر : 78) فهو الظلم في حق الله بالشرك ، والظلم في حق الناس بقطع الطريق ، والإفساد في الأرض ، والتطفيف بالمكيال والميزان. قال تعالى: " وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [سورة الأعراف:85].

- ظهور العصبية القبيلة ، وهذا الموقف ينبئ عن هبوط القيم لديهم فالعزة في نظرهم هي العشيرة والرهط . " وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ " (هود : 91) ،

- تغليب المصلحة على القيم التشريعية والأخلاقية. " قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ " (هود : 87) . فكأنهم يقولون : هذه أنظمتنا الاقتصادية ما شأنك بها ؟ لماذا تتدخل فيها ؟ وأنت رجل حليم ورشيد، فكيف تسمح لنفسك أن تتدخل في مناهجنا الاقتصادية وسياستنا المالية ؟

• كان من أسباب تكذيبهم (1) العناد والتمسك بطرق آبائهم الأولين، (2) خوف ذوي النفوذ على مصالحهم.

عصر إبراهيم عليه السلام:

• تربى إبراهيم في بيئة تتعدد فيها الآلهة (قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ)(الأنبياء 62)، وتقدس فيها ظواهر الطبيعة من شمس وقمر وكواكب. لم يقتنع إبراهيم بما نهج عليه من حوله، وبدأ رحلة البحث عن الله من الشك إلى اليقين، مقلباً أنظاره في ملكوت السماء والأرض، ولم يقبل عقله أفول أربابه.

• تطور اللغة واستعمال العقل والمنطق في إدراك مخلوقات الله والتوصل إلى الإيمان بوحدانية الله . "إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" "وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ).

• تراكم للقيم الإنسانية: الأخذ بالأسباب، والسَّعي في تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، وسؤال الله التوفيق في ذلك. مثل مشروعية إكرام الضيف، كما ورد في إكرامه لضيوفه من الملائكة. ومشروعيّة السلام، ووجوب رَدّه، ومشروعية السؤال عن أحوال الذين يتعامل معهم الإنسان من صاحب، أو ضَيف، أو نحوه (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ). الذاريات 25، (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ). الشعراء 88

• بيّن الله -تعالى- لإبراهيم وإسماعيل أساسات البيت الحرام التي كانت قد دُفِنت في الأرض منذ وقت طويل، ثمّ أمرهما ببناء الكعبة المُشرَّفة. -: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ*رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

الفوائد والعبر المستخلصة من قصص الأنبياء السابقة:

1. ورد في معظم المصادر الدينية وخاصة كتب التناخ والتلمود اليهودية خرافات وخيالات وتفاصيل عن نشأة الإنسان وعن حياة الأنبياء، فجاء القرآن ليُصحح تلك المفاهيم المغلوطة بإيجاز وبلاغة في السرد.

2. ورد في معظم المصادر الدينية أن نشأة آدم قبل حوالي 10,000 سنة وأن عصر نوح قبل حوالي 7500سنة وأن عصر إبراهيم قبل حوالي 6000 سنة. (تختلف المصادر في تحديد التواريخ)

3. تطورت الحالة الاجتماعية من بدائية في بيئة محدودة إلى حالة أكثر تعقيدا بتواصل الناس مع بعضهم وتطور المعرفة، فاستقروا في قرى وذللوا الأنعام وتوسعوا في البنيان حتى ظهرت القرى والمدن. فقد نشأت الحضارات المبكرة بالقرب من الأنهار، فظهرت أولاً في أسفل

بلاد الرافدين 3000 ق. م ، تلتها الحضارة المصرية على طول نهر النيل (3000 ق. م)، وحضارة هارابا في وادي نهر السند (2500 ق. م)، والحضارة الصينية على طول نهر اليانغتسي والنهر الأصفر (2200 ق.م.

4. تطورت التشريعات والقيم تدريجيا لتتلاءم مع تطور الدماغ والإدراك لدى الإنسان . بدأت بسيطة ثم بالتدريج ازدادت تفصيلا وتراكمت خلال السنين.

5. كلما واجه البشر الأوائل تحديات بيئية جديدة وطوروا أجسامًا أكبر ، طوروا أدمغة أكبر وأكثر تعقيدًا. حيث يمكن للأدمغة الكبيرة والمعقدة معالجة الكثير من المعلومات وتخزينها. وحين ظهرت الزراعة منذ 5,000 سنة تقريبا، سرعان ما ظهرت الحضارات المترامية الأطراف ، المليئة بالعمارة والآلات. وظهرت الكتابة الأولى في نفس الوقت تقريبًا.

6. استمرت درجات معدل الذكاء لدى الإنسان في ازدياد بشكل مطرد. حتى الشخص العادي اليوم كان يُعتبر عبقريًا مقارنةً بشخص ولد قبل مئة عام، فما بالك بمن كان قبل ألف عام؟

العبرة من القصص في القران : من موسى إلى عيسى عليهم السلام

عصر موسى عليه السلام

تضمنت قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم في أحداثها المختلفة ووقائعها المتعددة جملة من الدروس والعبر والعظات، نقف عليها فيما يلي:

<u>أثناء سرد نشأة موسى:</u>

1. الإيمان يصنع المعجزات؛ فقد قال سحرة آل فرعون لفرعون عندما تبين لهم الحق الذي جاء به موسى" لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض " طه:72). قال الزمخشري: "سبحان الله ما أعجب أمرهم! قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين!". على الدعاة إلى الله أن يعتمدوا في دعوتهم أسلوب اللين والملاطفة، وأن يتجنبوا أسلوب الشدة والغلظة؛ فإن الله سبحانه أمر موسى -وهو من صفوة الله في خلقه- ألا يخاطب فرعون -وهو سيد العتاة والطغاة- إلا بالملاطفة واللين. اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) طه

2. من عادة الطغاة أن يستخفوا بأتباعهم، ومن عادة الأتباع أن يطيعوا سادتهم وكبراءهم، ويتابعوهم على باطلهم وما يزينون لهم من الأعمال (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (غافر:29(فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين (الزخرف:54

العبر والعظات من قصة موسى وبقرة بني إسرائيل

1. دلالتها على صدق النبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ فقد أخبر بهذه القصة الواقعية (التي لم يشهد أحداثها) بما أوحاه الله إليه، وهذا الإخبار من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، كما أنها تدل على صدق نبوة موسى عليه السلام، وأنه رسول ربِّ العالمين.

2. دلالتها على أن التنطُّع في الدين، والإلحاح في المساءلة يؤديان إلى التشديد في الأحكام؛ لأن بني إسرائيل لو أنهم عَمَدوا من أول الأمر لفعل ما أُمروا به وجاءوا بأي بقرة لقضي الأمر، ولكنهم شددوا على أنفسهم بأسئلتهم، فشدد الله عليهم. " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَاۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (102)" وهنا يرشد الله المؤمنين بأن ييسِّروا لا يُعسِّروا على أنفسهم، فالحرام بيّن محدد فلا داعي من السؤال عن كل جديد يظهر في الحياة: هل هو حرام أو لا. فالله حدد الحرام ولا يحق لأحد من البشر الزيادة عليه أو الحذف منه.

3. دلالتها على قدرة الله تعالى؛ فإن إحياء الميت عن طريق ضربه بقطعة من جسم بقرة مذبوحة دليل على قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة، وما هذا الضرب إلا وسيلة كشف للناس عن طريق المشاهدة عن آثار قدرته تعالى، التي لا يدرون كيف تعمل، فهم يرون آثارها الخارقة، ولكنهم لا يعرفون كنهها وحقيقتها.

<u>العبر والعظات من قصة موسى والخضر</u>

1. أن الإنسان مهما أوتي من العلم فعليه أن يطلب المزيد (وقل رب زدني علما) طه:114، وأن لا يعجب ويغتر بعلمه (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (الإسراء:85

2. أن العلم قسمان: علم (مكتسب) يدركه الإنسان باجتهاده وتحصيله بعد عون الله له، وعلم (لدني) يهبه الله لمن شاء من عباده (وعلمناه من لدنا علما (الكهف:65

3. أن على المتعلم أن يخفض جناحه للمعلم، وأن يخاطبه بأرق العبارات وألطفها، حتى يحصل على ما عنده من علم (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا} (الكهف:66) ولا بأس على العالم أن يشترط على المتعلم أموراً معينة قبل أن يبدأ في تعليمه (فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا} (الكهف:70).

4. أن على الصاحب أن لا يفارق صاحبه حتى يبين له الأسباب التي حملته على المفارقة (قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا (الكهف:78

معجزات موسى

معجزة العصا، ويَدَه التي يُدخلها في جيْبه فتخرج بيضاء من غير سوء، قال الله -عزّ وجلّ-: (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) وقوله: "فَأَرسَلنا عَلَيهِمُ الطّوفانَ وَالجَرادَ وَالقُمَّلَ وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاستَكبَروا وَكانوا قَومًا مُجرِمينَ"

شرائع موسى

كانت التشريعات فيها قاسية وقد نسخت شريعة موسى بعض ما كان قبلها من الشرائع. ثم جاءت شريعة موسى فخففت عقوبات الإعدام إلى 16 عقوبة، أي نصف ما كان عند حمورابي ، كما نَسَخت شريعة عيسى بعض أحكام شريعة موسى. ووصف الله هذه الشرائع بالإصر والأغلال: {وَيضَعُ عَنهُمْ إصرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانتَ عَلَيهِمْ..} (الأعراف 157).

وقال تعالى: "وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" ، "قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ "

وقال تعالى:" وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِين " الأعراف 145

الوصايا العشرة في التوراة كما وردت في سفر الخروج

1. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ.. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.

2. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ.

3. لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلًا. 4. اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ.

5. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. 6. لاَ تَقْتُلْ. 7. لاَ تَزْنِ.

10. لاَ تَسْرِقْ. 9. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ. (10) لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ.

ليس في القرآن آياتٌ تذكر فيها الوصايا العشرة صراحة. لكنْ يبدو أن في القرآن موضعين يتمّ الإشارة فيهما إلى وصايا موسى العشرة في طور سيناء: إحداها: في الآيتين 83 و84 من سورة البقرة، حيث ورد ذكرها بلفظ «العهد» أو «الميثاق»: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ

وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ، وتأتي الآية التالية أيضاً بذكر «الميثاق» لفظاً: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ البقرة: 84.

عيسى عليه السلام

من الفوائد والعظات من هذه القصة:

1- ظهور الغلو في تقديس الأنبياء والمرسلين والصالحين، ولذلك كانت وظيفة الأنبياء حماية مبدأ التوحيد

2- ثبات كرامة الأولياء، فإن الله كرم مريم بأمور؛ فيسر لها أن تكون في كفالة زكريا بعدما حصل الخصام في شأنها، وأكرمها بأن كان رزقها يأتيها من الله ، وأكرمها بوجود عيسى، وولادتها إياه، وبخطاب المَلك لها بما يطمئن قلبها، ثم بكلامه في المهد، فهذه الأخيرة جمعت كرامة ولي، ومعجزة نبي. ومنها: الآيات العظيمة التي أجراها الله على يد عيسى ابن مريم من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ونحوهما.

3- أن الله أنزل على نبيه عيسى عليه السلام الانجيل، وهو مصدق للتوراة، ومتمم لها، قال تعالى عنه: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾] المائدة:46

4- أن نبي الله عيسى بَشَّر بنبوة محمد (ص)، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ الصف:6

معجزات عيسى عليه السلام

- ولادته وكلامه في المهد بإذن الله تعالى.
- كان يصنع من الطين تمثالاً على شكل طائر، وينفخ فيه فيتحوّل هذا التمثال إلى طائر حقيقي بإذن الله تعالى.
- كان يشفي الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى.
- كان يحيي الموتى بإذن الله.
- كان يخبر الناس بما في بيوتهم من أصناف الطعام بإذن الله تعالى

بعث الله عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل نبياً ورسولاً، وقامت رسالته على توحيد الله وإفراد الألوهية والربوبية، ودعوة بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده، ومطالبتهم بالإيمان بأنه عبد الله ورسوله، وأنه ابن مريم، فهو رسول بشر عليه الصلاة والسلام ، وهذه هي النصرانية الموحّدة

التي دعا إليها عيسى عليه السلام، وعلى هذا الأساس آمن به الحواريون، واتَّبعه النصارى الموحدون.

عصر محمد (ص)

يمتاز هذا العصر عن العصور السابقة بما يلي:

التطور في أسلوب الحياة:

إن حياة الإنسان في عصر نزول الوحي على سيدنا محمد أصبحت تختلف كثيرا عما كانت عليه في العصور السابقة. حيث ظهرت مدن وحضارات وانتشرت الكتابة وازدهرت اللغة والشعر والبلاغة في التعبير. كما تطورت وسائل وأنواع البناء والزراعة والتجارة ووسائط التنقل من بلد إلى آخر. كما نشأت دول تتصارع فيما بينها كدول الروم والفرس، كما حصل تأثر المجتمعات ببعضها البعض. كل هذه التغيرات وتشابك العلاقات أدت إلى تطور الدماغ لدى الإنسان وأدت إلى تفعيل الطاقات الكامنة التي أودعها الله في الإنسان. وتدل البحوث الاستكشافية والحفريات أن دماغ إنسان تلك الفترة أصبح أكثر قدرة على ربط المعلومات المتوفرة وتحليلها والوصول إلى الاستنتاجات باستخدام المنطق والعقل.

الشريعة المحمدية:

بما أن الرسول محمد (ص) هو خاتم الرسل، فإن الشريعة الإسلامية هي الخاتم، فيجب أن تكون متطورة عن الشرائع التي قبلها. ومع أن الشرائع التي قبلها إلهية، ومع ذلك تم نسخها أو نسخ جزء منها، فيجب أن تكون هناك خاصية في الشريعة الإسلامية تجعلها قابلة للحياة في عصر ما بعد الرسالات وعصور التقدم في العلوم الطبيعية والإنسانية على أنها الخاتم.

فإذا نظرنا الى العقوبات في الشريعة اليهودية والمسيحية وقارناها بما هي عليه في الشريعة المحمدية نرى كيف أن الله رحم جميع الناس بأن الغى عقوبة الإعدام إلا في حالة قتل النفس المتعمد كحد أعلى وأبقى إمكانية للعفو. لذلك نسخ الله بعض الشرائع السابقة وألغى المشقة والصعوبات والعقوبات الجسدية. بقوله تعالى: "مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ" (البقرة - 106) وقوله : الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)

عالمية الشريعة المحمدية: كانت التشريعات قبل محمد (ص) تحمل الطابع الزماني والمكاني "المرحلي التاريخي" من حيث الزمان والمكان "لبني إسرائيل". لذا كان موسى رسول بني إسرائيل، وأرسل عيسى لبني إسرائيل لتعديل شريعة موسى. أما بالنسبة لرسالة محمد (ص)

فالوضع يجب أن يكون مختلفا تماما، حيث أن محمد (ص) خاتم الرسل بالإضافة إلى أنه خاتم الأنبياء. فكما، أن نبوته جاءت بشكل متشابه لكي تصلح لكل زمان ومكان، فيجب أن تكون لشريعته خاصية ما، تميزها تماما عن الشرائع التي قبلها وتجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وهذه الخاصية ينطبق عليها قوله تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (الأنبياء 107) وقوله تعالى: {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا(الأعراف 158). وتمتاز الشريعة المحمدية عن سابقاتها باشتمالها على مبدأ الحدود عند تطبيق أحكامها. وعندما نتكلم عن حدود الله في التشريعات يجب أن نبحث عن الحقول التي تحددها هذه التشريعات، إن كان في العقوبات أو الإرث أو محارم النكاح أو المأكولات أو الربا أو التعددية الزوجية أو لباس المرأة، كلها تقوم على نظرية الحدود هذه، وذلك يضمن صلاحياتها في كل زمان ومكان.

نلاحظ أن هناك أنواع من الحدود تأتي بألفاظ : اجتنبوا، لا تقربوا، لا تعتدوا، فما الفرق بين هذه الحالات؟

اجتنبوا: يأتي هذا الفعل في التنزيل الحكيم للظواهر التي نواجهها بشكل مباشر، دون أن نقصدها، كأن تقول لإنسان يقود السيارة "اجتنب الحفر في الطريق" أي أنه سيصادفها في طريقه دون أن يقصدها. ومثالها ظواهر الطبيعة من نجوم وكواكب وقمر ورعد وبرق ونار... التي علينا اجتناب الرجس فيها أي الاعتقاد بأنها تملك قوى خارقة تستطيع أن تنفعنا وتضرنا بها: {.. فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ ..} (الحج 30). واجتناب قول الزور الوارد في قوله: {.. وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ..} (الحج 30)

لا تقربوا: تستعمل للأمور التي نقصدها عن سابق إصرار ووعي مثل الفواحش فإننا لا نصادفها دون قصد، بل نقصدها: {.. وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ..} (الأنعام 151). وكذلك الأمر بالنسبة لمال اليتيم فإنك تقصده لأخذه: {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ..} (الأنعام 152)، فنحن نعلم أنه مال اليتيم ولا نصادفه في أي تعامل مالي. والزنا من حدود الله التي قال فيها: {ولا تقربوا الزنا}.

لتوضيح ذلك نضرب المثال التالي: إذا كان لدينا حقل له حدود (سور) وهذا السور مكهرب، نضع لافتة تقول (لا تقترب. السياج مكهرب) أي أنه يجب أن لا يمس السياج وأن يُبقى مسافة أمان بينه وبين السياج. أما إذا كان السياج عادياً، فنضع إشارة تقول (لا تتعدَّ السياج) أي يمكن للمار أن يمس السياج ولكن لا يحق له تعديه إلى الطرف الآخر.

وعليه، فعند دراسة آيات التنزيل الحكيم علينا أن نُدرك أنه لا توجد كلمات مترادفة، فكل كلمة لها معناها الخاص حسب الساق الذي ترد فيه. لذا علينا التفريق بين المصطلحات:

التنزيل الحكيم (الذِكر): هو الصيغة اللغوية المنطوقة الصوتية والمتعبَّد بها لكل آيات الكتاب بغضّ النظر عن فهم محتواها، فهي للعرب وغير العرب .وهي الصيغة التي تعهّد الله بحفظها

لقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر 19). ويضمّ التنزيل الحكيم (المصحف) بين دفّتيه القرآن والكتاب (الرسالة).

القرآن: يمثّل القرآن نبوّة محمّد (ص) لهذا ذُكر مع كلّ من التوراة والإنجيل في قوله تعالى: {... وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ...} (التوبة 111)، ويمثّل مجموع الآيات المتشابهات (آيات النبوّة) التي تتحدّث عن القوانين الكونية التي تتحكّم في الكون بما فيه من نجوم وكواكب وزلازل ورياح ومياه في الينابيع والأنهار والبحار...، وعن قوانين التاريخ والمجتمعات التي تحكم نشوء الأمم وهلاكها، وعن غيب الماضي من خلق الكون وخلق الإنسان وأنباء الأمم البائدة (القصص القرآني بما فيه القصص المحمّدي)، وعن غيب المستقبل كقيام الساعة والنفخ في الصور والحساب والجنّة والنار

الكتاب: وردت مفردة كتاب في التنزيل الحكيم بمعنيين: مرة بمعنى كل المصحف، ومرة بمعنى مجموعة آيات الرسالة فقط، وبهذا المعنى يشترك مع معنى الكتاب عند موسى وعيسى، فالكتاب عند موسى وعيسى هو التشريع فقط. بالنسبة إلى موسى نجده في قوله تعالى: {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (البقرة 53)، وبالنسبة إلى عيسى نجده في قوله تعالى: {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ} (آل عمران 48). وتشتمل الرسالة المحمدية على آيات أمّ الكتاب (الكتاب المحكم) وعلى آيات تفصيلها {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (هود 1).

انتقال المعجزات التي تثبت النبوة من المشخص المشاهد والمحسوس إلى التجريد: :

إذا كان الله قد أعطى الأنبياء السابقين عددا من البينات والآيات الحسية التي تتناسب مع وعي الناس في تلك الفترة لإقناعهم بنبوتهم، فإنه أعطى خاتم النبيين والرسل "القرآن" فيه 114 سورة و 6200 آية، وتحدى المجتمع أن يأتوا بسورة مثله. وهنا حدثت نقلة نوعية في أسلوب وطريقة المعجزات حيث انتقلت من التشخيص إلى التجريد. والتجريد اصطلاحا هو عملية التفكير التي من خلالها تبتعد الأفكار عن الأشياء. فالتجريد يعتمد على التحليل والتركيب والتجنيس مع قدرته بجعل الأشكال تحتفظ بصفتها الواقعية.

نشوء مفهوم المدينة

نشأ مفهوم المدينة بعد الهجرة إلى مدينة يثرب وسميت "المدينة" وقامت على مبدأ وحدانية الإله وتعدد الملل.

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (62) سورة البقرة. وهي أول سورة نزلت في المدينة المنورة. وهكذا كان في المدينة: مسلم مؤمن، مسلم يهودي، مسلم نصراني،

وغيرهم. وعليه فقد أقر الله التعددية. وأقر أن الله هو الذي يحكم يوم القيامة بين الملل المختلفة وليست من مسؤولية الناس في الحياة الدنيا.

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (17 الحج)

ظاهرة المنافقين:

المنافقون فئة من المسلمين المؤمنين ولكنهم في الواقع كفروا بعد إيمانهم. وكانت طريقتهم في مداراة ما في قلوبهم من الكفر، وإعلانهم الإسلام والشهادة وحلفهم كذبا ليصدقهم المسلمون، واتخاذهم هذه الأيمان وقاية يخفون وراءها حقيقة أمرهم، ويخدعون المسلمين فيهما فقال تعالى "في سورة المنافقين: {1} إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ {2} اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {3} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (4) وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون"{8} يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ"

فهم يمثلون العدو الأول للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين: هم العدو الحقيقي. العدو الكامن داخل المعسكر، المختبئ في الصف، وهم كثيرون، وينخدع فيهم بعض المؤمنين ويعتبرهم الناس من أصحاب الرسول (ص). وهم أخطر من العدو الخارجي الصريح.

ومن أشهرهم عبد الله بن أبي ابن سلول: وهو شخصية من شخصيات يثرب وأحد قادة ورؤساء الخزرج، يلقبه المسلمون بكبير المنافقين. قيل إنه كان على وشك أن يكون سيد المدينة قبل أن يصلها النبي محمد. تمرَّدَ عبدُ اللهِ بن أُبي ابن سلول في غزوة أُحُد فانسحب بنحو ثلث العسكر- ثلاثمائة مقاتل- قائِلاً: ما ندري علام نقتلُ أنفسَنَا؟ وحجته في ذلك بأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم تَرَكَ رأيه، وأطاعَ غيرَهُ. كذلك عندما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم وجيشه من غزوة بني المصطلق نُقل عن عبد الله بن أبي ابن سلول قوله (والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)، وكان ابن سلول يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم. وقال بن سلول أيضاً: {لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا}، فلما سمع بذلك عمر، قال: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((دعه.. لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)). وليس هو المنافق الوحيد، وليسوا قلة كما تحاول كتب التراث التغطية فتقول أنهم أربعة عشر، نشرت أسماءهم، إشارة إلى الذين حاولوا اغتيال النبي بعد غزوة بني المصطلق. ففي غزوة أحد انسحب معه حوالي ثلاثمئة والله أعلم بالمندسين خفية.

العبر المستفادة

- اكتسب الإنسان في هذا العصر الكثير من المعارف والخبرات مقارنة بالعصور السابقة، وأصبح قادراً على التعقل والتفكر والتدبر، وعليه لم يعد بحاجة إلى براهين حسية تشخيصية تثبت وحدانية الله وتثبت صِدق الأنبياء والرسل. فشاءت حكمة الله عندما اصطفى سيدنا محمد أن يجعل أيات القرآن نفسها هي المعجزة والبرهان.

- كون محمد (ص) هو آخر الأنبياء والرسل، فقد تعهد سبحانه بحفظ الصورة الصوتية التي نزل بها الوحي بلسان عربي مبين من أي تحريف أو تبديل. كما أنه سبحانه بيّن في التنزيل كل ما يحتاجه الإنسان من أحكام في حياته الروحية والمادية والنفسية والاجتماعية والمعاملات بين الناس وبين الشعوب والأمم. وبعد أن بلّغ الرسول (ص) قوله تعالى: " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا " (المائدة 3) ، ترك الله للناس جميعا هذا التنزيل مرجعاً.

- وجود فئة من المؤمنين صاحبوا الرسول (ص) يُظهرون الإيمان وهم في باطنهم أعداء للإسلام. حذَّر الله منهم في عشرات الآيات. وقاموا أثناء حياة الرسول وبعده وإلى يومنا هذا بترويج الأفكار وتأليف الروايات والأحاديث التي تُشكك في مصداقية الدين.

- بعد أن برهن سبحانه في التنزيل الحكيم على وحدانية الله وعلى صدق رسوله في تلاوته وبلاغه لما نزل من الوحي، ترك للإنسان حرية الاختيار في اتباع طريق الهداية أو طريق الضلال. كما في قوله تعالى:

ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" 125 النحل

"لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ 256" البقرة، "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" الكهف 29

مصدر القرآن وقدسيته

يقول أصحاب السردية الإسلامية أن الإعجاز يتجلى في أن الله حفظ القرآن من أي تغيير أو تبديل، وهذا صحيح ولكنهم خلطوا بين مفهوم القرآن والكتاب والذكر، فالمحفوظ هو الذكر وهو الصورة الصوتية التي تنزل بها القرآن.

الكتاب: وردت مفردة كتاب في التنزيل الحكيم بمعنيين حسب منهجنا القرآني المعاصر، وهما:

الكتاب بمعنى مجموعة المواضيع التي جاءت إلى النبي (ص) وحياً على شكل آيات وسور، ويتضمّن كلّ ما جاء بين دفّتي المصحف من سور ابتداءً من أول سورة الفاتحة وصولاً إلى آخر سورة الناس، وهو ما نطلق عليه اسم التنزيل الحكيم لقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} (البقرة 176). ويشتمل الكتاب على كلّ من النبوّة (القرآن والسبع المثاني)، والرسالة (أمّ الكتاب وتفصيلها) وعلى تفصيل الكتاب وهي الآيات التي تمثّل فهرس الكتاب.

الكتاب بمعنى مجموعة آيات الرسالة فقط، وبهذا المعنى يشترك مع معنى الكتاب عند موسى وعيسى، فالكتاب عند موسى وعيسى هو التشريع فقط. بالنسبة إلى موسى نجده في قوله تعالى: {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (البقرة 53)، وبالنسبة إلى عيسى نجده في قوله تعالى: {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإنجِيلَ} (آل عمران 48). وبهذا يشترك المؤمنون من أمّة محمّد (ص) مع اليهود والنصارى في كونهم من أهل الكتاب أيضا.

وقد جاء الكتاب بالمعنيين الأول والثاني في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ..} (آل عمران 7). فمصطلح الكتاب الوارد في المرة الأول جاء بمعنى الكتاب كله، وفي المرّة الثانية جاء بمعنى الرسالة فقط أي كتاب التشريع فقط.

الذِكر: هو الصيغة اللغوية المنطوقة والمتعبَّد بها لكل آيات الكتاب بغضّ النظر عن فهم محتواها، وهي الصيغة التي تعهّد الله بحفظها لقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر 19). كما أنّ للذكر معانيَ أخرى وردت في التنزيل الحكيم.

القرآن: يمثّل القرآن نبوّة محمّد (ص) لهذا ذُكر مع كلّ من التوراة والإنجيل في قوله تعالى: {... وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإنجِيلِ وَالْقُرْآنِ...} (التوبة 111)، ويمثّل مجموع الآيات المتشابهات (آيات النبوّة وتفصيلها) التي تتحدّث عن القوانين الكونية التي تتحكّم في الكون بما فيه من نجوم وكواكب وزلازل ورياح ومياه في الينابيع والأنهار والبحار...، وعن قوانين التاريخ والمجتمعات التي تحكم نشوء الأمم وهلاكها، وعن غيب الماضي من خلق الكون وخلق الإنسان وأنباء الأمم البائدة (القصص القرآني بما فيه القصص المحمّدي)، وعن غيب المستقبل كقيام الساعة والنفخ في الصور والحساب والجنّة والنار. والقرآن جاء من فعل قرن لأنّه قرن القانون العام للوجود مع القانون الخاصّ له مع خط تطوّر سير التاريخ الإنساني، وهو بذلك قرن بين معلومات اللوح المحفوظ ومعلومات الإمام المبين، ويُعدّ الجزء الأكبر من الكتاب ولا يوجد فيه تشريع إطلاقاً. ولأنه فرّق الله عزّ وجلّ فيه بين الحق والباطل في الوجود سمّاه "القرآن العظيم" في قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} (الحجر 87). والقرآن مضافاً إليه السبع المثاني يمثّل جزء النبوة من التنزيل الحكيم.

اللوح المحفوظ: بما أنّ القرآن المجيد هو القوانين الصارمة الناظمة للوجود، فإنّ اللوح المحفوظ هو بمثابة برنامج هذه القوانين لقوله تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} (البروج

22-21). وهذا البرنامج بقوانينه الصارمة التي تسيّر الوجود هو برنامج ثابت ولا يتغير، لا هو ولا قوانينه، وبالتالي لا ينفع فيه الدعاء لأنّه لا يتغيّر من أجل أحد مهما كان.

السبع المثاني: هي جزء من نبوّة محمّد (ص) أي جزء من القرآن. وهي مقاطع صوتية وردت في فواتح السور، مثل: (ألم – ألمص – كهيعص – حم – طسم) تتألف من أحد عشر مقطعاً صوتياً تمثل القاسم المشترك في الكلام الإنساني. وقد أشار إليها النبي (ص) في قوله باسم "جوامع الكلم"، ووردت في الكتاب باسم "أحسن الحديث": {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ} (الزمر 23). وتشكّل السبع المثاني مع القرآن كتاب النبوّة، إذ بهما وقع الإعجاز والتحدّي في قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} (الحجر 87).

الحديث: هو أنباء مجموعة آيات الأحداث الكونية: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} (الغاشية 1)، والأحداث الإنسانية سواء ما غاب منها في طيّات الماضي، أو ما حصل في زمن النبي (ص) من حروب وهجرة: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...} (يوسف 111). وهذه الآيات ليس فيها أحكام ولا تشريعات لأنها جزء من القرآن أي من نبوة محمّد (ص)، ذلك لأن القرآن كما رأينا قرن بين الأحداث الكونية والأحداث الإنسانية، وهو قابل للتصديق والتكذيب فقط: {فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ...} (القلم 44(

الكتاب المبين: هو مجموع آيات القصص القرآني بما فيه القصص المحمّدي، أي هو مجموع الآيات التي تتطرّق إلى أنباء غيب الماضي وإلى أخبار القصص المحمّدي، لأن آيات القصص المحمّدي بما فيها من آيات القتال كانت أخباراً بالنسبة لمن عاصر النبي (ص) لكنّها تحوّلت إلى أنباء عن الماضي لمن بعدهم من العصور. ورد الكتاب المبين في قوله تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} (يوسف 1-3).

الإمام المبين: هو أرشيف الإنسانية من يوم خلقها الله عزّ وجلّ إلى يوم الدين، أي أرشيف الأحداث التاريخية الإنسانية الفردية والجماعية إلى قيام الساعة، ومنه جاء الكتاب المبين (القصص القرآني بما فيه القصص المحمّدي). تمت فيه أرشفة الأحداث الإنسانية بعد حدوثها وتحوّلها إلى واقع لقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} (يس 12)

يبين الشكل أدناه الروابط بين هذه المصطلحات:

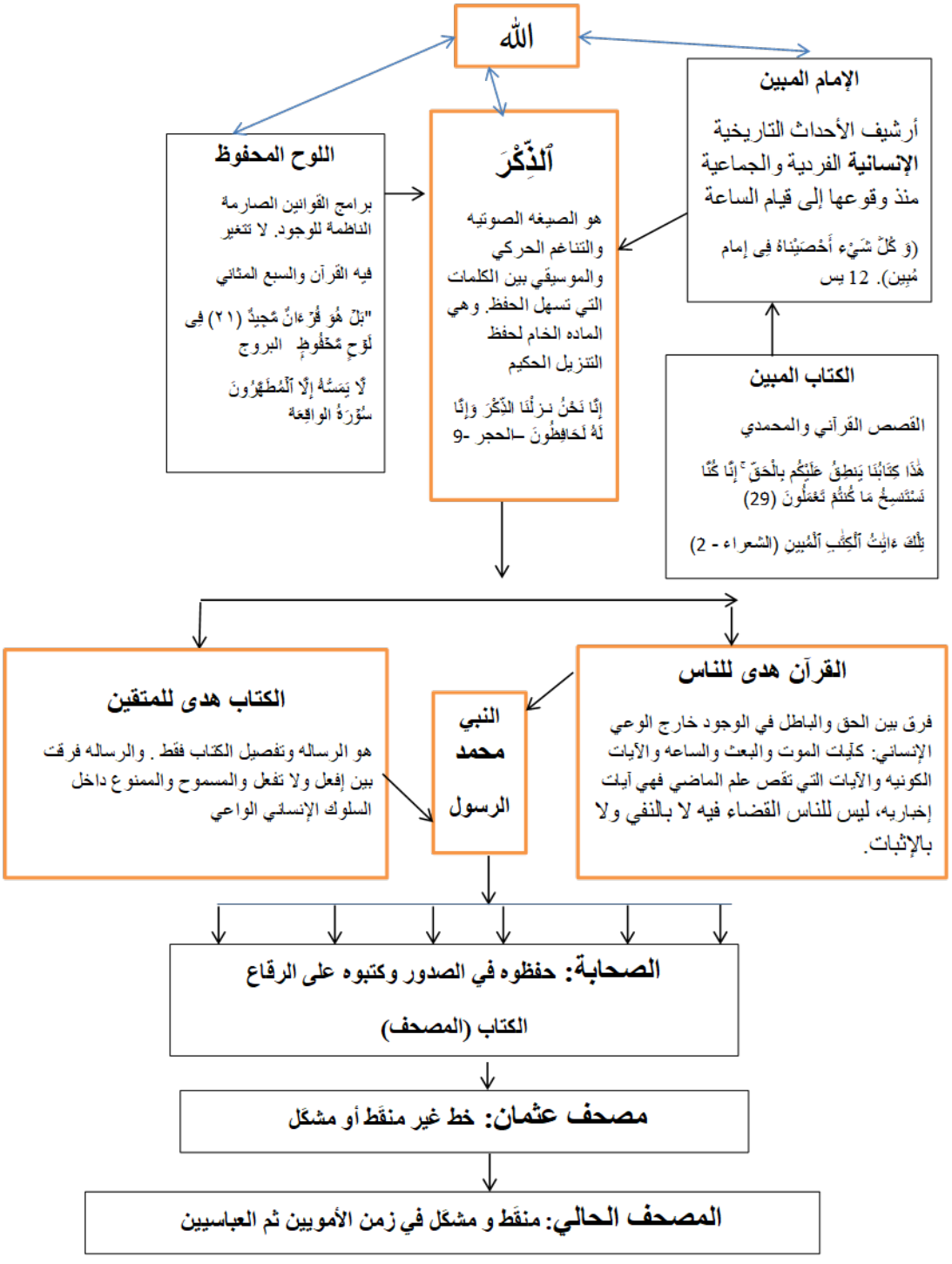
الله
الإمام المبين
أرشيف الأحداث التاريخية الإنسانية الفردية والجماعية منذ وقوعها إلى قيام الساعة
(وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ). 12 يس
اللوح المحفوظ
برامج القوانين الصارمة الناظمة للوجود. لا تتغير
فيه القرآن والسبع المثاني
"بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ البروج
لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ سُوْرَةُ الواقِعَة
ٱلذِّكْرَ
هو الصيغه الصوتيه والتناغم الحركي والموسيقي بين الكلمات التي تسهل الحفظ. وهي الماده الخام لحفظ التنزيل الحكيم
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ –الحجر -9
الكتاب المبين
القصص القرآني والمحمدي
هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (29)
تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (الشعراء - 2)
الكتاب هدى للمتقين
هو الرساله وتفصيل الكتاب فقط . والرساله فرقت بين إفعل ولا تفعل والمسموح والممنوع داخل السلوك الإنساني الواعي
النبي محمد الرسول
القرآن هدى للناس
فرق بين الحق والباطل في الوجود خارج الوعي الإنساني: كآيات الموت والبعث والساعه والآيات الكونيه والآيات التي تقص علم الماضي فهي آيات إخباريه، ليس للناس القضاء فيه لا بالنفي ولا بالإثبات.
الصحابة: حفظوه في الصدور وكتبوه على الرقاع
الكتاب (المصحف)
مصحف عثمان: خط غير منقط أو مشكل
المصحف الحالي: منقط و مشكل في زمن الأمويين ثم العباسيين